هوامش

يتراجع الاهتمام بممارسة الغوص بحثًا عن اللؤلؤ في قطر، أمام هيمنة الرياضات البحرية المختلفة، رغم أنّها ممارسة أصيلة كانت تشكّل مدخلاً ماديًا لسكان قطر على مدار السنين

الساده: الغوص فيه متعة وروح المغامرة والتشويق والاستكشاف ايضا (العربي الجديد)

البحث عن اللؤلؤ
ممارسة قطرية تقليدية

الدوحة ـ **شيماء امكاني**

لمسافة قد تصل إلى 80 كيلومتراً داخل البحر، وفي عمق قد يصل أحياناً إلى 23 متراً، يشد الغواص، محمد عبد الله حسين الساده، الرّحال على الرغم من المخاطر التي قد تصادفه. هي رحلة يقودها شغفه لممارسة هواية دأب على مزاولتها لأزيد من 15 سنة. يغوص محمد الساده منقباً عن أحجار اللؤلؤ الطبيعية، مسترجعاً بذلك تاريخ أجداده في منطقة الخليج وبالذات في دولة قطر.

فبعدما كان الغوص بحثًا عن اللؤلؤ وتجارة اللؤلؤ بشكل عام، يشكلان المدخل المادي شبه الوحيد لأهل الخليج وسكان الساحل، والمهنة الأساسية التي عاش أغلب سكان الخليج على مردودها، أصبحت حالياً شغفًا وهواية لعدد من الغواصين المتمرّسين، وذلك من أجل الحفاظ عليها، وترسيخاً للتراث البحري القطري، أمام أنواع لا حصر لها من الرياضات البحريّة العصريّة. إذْ قليلا ما نجد مهتمين برياضة الغوص بحثًا عن اللؤلؤ والمحار. اقتصرت بدايات محمد الساده الأولى لدخول البحر على صيد الأسماك، رافضاً نصيحة أبيه آنذاك بالغوص بحثًا عن اللؤلؤ. غير أن مقابلته الأولى للمحار، وتعرفه على أماكن تواجده، وحصوله على كمية من اللؤلؤ بعد جهد وعناء، أحيت فيه شغفاً استمرّ عشرات السنين حتى هذه اللحظة.

يقول الساده لـ «العربي الجديد»: «الغوص فيه متعة وروح المغامرة والتشويق والاستكشاف أيضاً. فبعد أن أظهرت المختبرات إمكانية تمييز اللؤلؤ الطبيعي من الصناعي، عادت للؤلؤ الطبيعي قيمته المادية القديمة. فيمكن بذلك أن يحصل منه الشخص على مردود مالي طيب. وهذه مفاجأة المحار واللؤلؤ في بحارنا. إذْ يمكن في أي لحظة أن أجد حبة لؤلؤ تغطي تكاليف الرحلات السابقة كاملة، ففيها شغف ودافع للاستمرار».

وفي الوقت الذي تعتمد فيه بعض الدول على الغوص بحثًا عن اللؤلؤ كمصدر أساسي للدخل حتى يومنا هذا، على سبيل المثال دولة البحرين، والتي تحتل المرتبة الثانية كأكبر مصدر للؤلؤ الطبيعي البحري، لا يتعدى الأمر خانة الهواية في دولة قطر. وهذا الشيء الذي قد يفسر عزوف الشباب عنها، بحيث يرى الساده أنه «لن يخطر على بال أي أحد أن يفتح كتابا ويقرأ عن اللؤلؤ، ماذا سيفعل به؟ هناك هوايات كثيرة جميلة على البراري مثل القفز بالمظلات والتزلج أيضاً، فلن يجذبه شيء قديم مثل الغوص بحثًا عن اللؤلؤ».

لكن الأمر مختلف بالنسبة للغواص محمد الساده، فممارسته للغوص تنبع من هواية استمرارية توثيق ما يجده مثيراً للانتباه في القيعان البحرية وجمع المعلومات. ولهذا الأمر يتواصل أحياناً مع الكثير من كبار السن الذين يملكون باعاً وخبرةً في هذا المجال، فيستفيد منهم، إضافة إلى اكتساب خبرة ذاتية عند الاستمرار في ممارسة الغوص. عناء هذه الممارسة وشقاؤها، لم يمنعاه من الحفاظ على هذه الاستمرارية، بل يرى أنه من خلالها استطاع أن يعايش ويشعر، ولو شيئاً بسيطاً، مما كان يعاني منه أجداده داخل البحر، ليبقى إرثاً وتراثاً يجب الحفاظ عليه من التلف والاندثار.

ولعل وجود فعاليات منظمة تسلط الضوء على الغوص بحثًا عن اللؤلؤ، أبرز ما يمكن تقديمه للنهوض بهذه المهنة الأصيلة، وسط خليط لا حصر له من الرياضات البحرية المعاصرة والأكثر متعة للجيل الحالي. لكن هذا لم يمنع من تنظيم دروس تعليمية تخص فئات صغيرة في السن، لأجل التدرب على الغوص في البحر بحثًا عن اللؤلؤ داخل مجموعة من البرامج التي يقدمها نادي الدوحة للرياضات البحرية.

انتقل عالم البحار من مصدر أساسي للعيش الكريم إلى وسيلة يمكن من خلالها تحقيق المتعة والحفاظ على التراث ونشره في نفس الوقت. يقول الساده: «الغوص فيه متعة. لأننا لا نرى عالم البحر، إلا إذا أجهدنا أنفسنا وذهبنا للغوص، وفيه أيضاً روح المغامرة والتشويق والاستكشاف، إضافة إلى أن الشخص يرجع بعائد مادي. فهذا الأمر بحد ذاته متعة كبيرة وليس بسيطاً. تختلف المتعة والمغامرة من رياضة لأخرى سواء تعلق الأمر بالرياضات فوق البحر أو تحته، فشعور المتعة واحد يشاركه مرتادو البحر كافة».

باختصار

اقتصرت بدايات محمد الساده الأولى لدخول البحر على صيد الأسماك، رافضاً نصيحة أبيه آنذاك بالغوص بحثًا عن اللؤلؤ

■■■

بعد أن أظهرت المختبرات إمكانية تمييز اللؤلؤ الطبيعي من الصناعي، عادت للؤلؤ الطبيعي قيمته المادية القديمة

■■■

كان الغوص بحثًا عن اللؤلؤ وتجارة اللؤلؤ بشكل عام، يشكلان المدخل المادي شبه الوحيد لأهل الخليج وسكان الساحل عمومًا

وأخيراً

«اسمع وشوف» وتعدّد الأصوات

محمود الرحبي

كتب حلقات المسلسل العُماني «اسمع وشوف» الصحافي والروائي العُماني، يوسف الحاج، الذي ساهم سابقا في كتابة مجموعة من المسلسلات طوال مسيرته الفنية النوعية، من أبرزها «ناس وناس» و«طماشه». في هذه المرّة، كان الحاج مع حلقات عُمانية شعبية فكاهية تمتح من مفارقات اجتماعية، حملت اسم «اسمع وشوف» أخرجه الفنان السوري، عارف الطويل، في 30 حلقة بثت طوال شهر رمضان. تعدّدت فيه الأصوات على أكثر من مستوى. نجد مثلا في الحلقة الواحدة عدة لهجات، وفي ذلك غنى وثراء للمسلسل، تعكس الثراء الصوتي الحاصل في اللهجات العمانية، مثل الممثلة محفوظة الساحب التي كانت تتكلم بلهجة أهل الداخلية، وأشرف المشيخي (شروفان) بلهجة أهل الجنوب في محافظة ظفار، وعبدالله الغافري بلهجة ولايات محافظة الظاهرة. وفي إطار هذا التعدّد أيضا، انفتح المسلسل على مختلف الأجيال الفنية العمانية مثل فخرية خميس وصالح زعل ومحمد نور وجمعة هيكل والممثلة الراحلة شمعة محمد التي افتقدها الوسط الفني العُماني قبل شهر رمضان، حين كانت في السعودية في أثناء أدائها في مسلسل من إنتاج «إم بي سي». ونجد التعدد كذلك في استثمار مواهب من الفضاء العام، مثل المسرحي عبدالله مرعي واليوتيوبر عبدالله الغافري، إلى جانب استثمار قدرات ممثلين كانوا قد تواروا عن الشاشة، مثل بتول خميس. هناك كذلك ممثلون من دول عربية كمصر والبحرين والإمارات.

نجد التعدّد كذلك على مستوى الحلقات، فكل حلقة (وأحيانا أكثر) تناقش موضوعا جديدا. إذن هو «اسمع وشوف» فكاهي بالأساس، يبحث عن مادته المتنوّعة في طيات الحياة العامة، ويستمد مادته من مفارقات المجتمع. وقد حظي المسلسل بمتابعة واهتمام ملحوظين. كما أنه لم يسلَم من النقد المتعلق بما يمكن اعتباره مبالغة وتعميما في بعض المواضيع، من قبيل حلقة الشهادات المزوّرة وكذلك الحلقات المتعلقة بعاملات المنازل. مع العلم أن هذه طبيعة الكوميديا، تستثمر، وأحيانا تبالغ، في التركيز على موضوع معين، بقصد الإضحاك والتسرية، من دون أن يعني ذلك بالضرورة شيوع هذه المواضيع ونمطيّتها، مع عدم خلو المسلسل من بعض الملاحظات الفنية، مثل إصرار بعض الممثلين على أن يرتدوا ملابس رسمية حتى في بيوتهم، أو في حاراتهم في أوقات المساء، مثل الدشداشة البيضاء والمِصَر، وهما تُرتديان في عُمان عادة في أوقات الدوام الرسمي الصباحي.

شكّل «اسمع وشوف» نقلة مهمة في الدراما العُمانية بعد سنواتٍ عجاف، تسبّبت في هجرة الممثلين إلى دول الخليج في الجوار بهدف إثبات قدراتهم، مع القناعة بممارسة أدوار هامشية، في ظل شحّ وندرةٍ للدراما والسينما في بلدهم. وقد تميز هذا المسلسل الذي استُقبلت حلقاته بمتابعة يومية، ونقاشات متفاوتة في وسائل التواصل الاجتماعي، إلى جانب مستويات تعدّده، بالتجاور بين المواهب المخضرمة والصاعدة، كما أن الأداء المُتقن لبعض الممثلين والممثلات كان واضحا، إلى جانب انسجام المسلسل مع تطلّعات الشباب في الحرية والخروج من أسر التقاليد الضاغطة.

> شكّل «اسمع وشوف» نقلة مهمة في الدراما العُمانية بعد سنواتٍ عجاف، تسبّبت في هجرة الممثلين

ناقش المسلسل كذلك، قدر الإمكانات والظروف، مواضيع اجتماعية وإدارية، اتسم بعضها بالجرأة، بقصد تفكيك قيمٍ ترسّخت في المجتمع، وكان لا بد من مناقشتها لفهمها وتجاوزها، مثل الحلقة عن غلاء المهور، والتي جرى تقديمها بطرافةٍ مبتكرة، حين طلب الأب مهرا قليلا (على غير العادة)، وأصر عليه من منطلق أنه لا يبيع ابنته، إنما يزوّجها. وحلقات أخرى تتناغم مع التحوّل الرقمي لدى الشباب. ويتميز المسلسل كذلك بالتباري الخفي بين جيلٍ شابّ أثبت حضوره، واختصر مهارات كثيرة، وممثلين سابقين في التجربة والبروز الإعلامي، تشاركوا جميعا في هذا العمل الذي أعطى أملا في انتعاش الدراما العُمانية. والكرة الآن، كما يقال، في ملعب الدولة لاستثمار هذه القدرات الفنية الملحوظة، والدفع بها نحو النمو والتطوّر.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**